الرِّسَـــالة ١٢٩

انظرُوا كيْفَ كانَ يُحبُّهُ!

(Arabic – See how He loved him!)

أحبّائِى.. حَديثَنا اليَوْمَ مَوْضُوعُهُ: **انظرُوا كيْفَ كانَ يُحبُّهُ!**

ومِنْ إنجيل يُوحنا الأصْحَاح الحَادِى عَشَرَ نقرَأ الأعْدَادَ الخَامِسَ والسّادِسَ والسّابعَ بَعْدَ الثلاثينَ:

"بكى يَسُوعُ!. فقالَ اليَهُودُ: انظرُوا كيْفَ كانَ يُحبُّهُ!. وقالَ بَعْضٌ مِنْهُمْ: ألمْ يَقدِرْ هذا الذِى فتَحَ عَيْنَىّ الأعْمَى أنْ يَجْعلَ هذا أيْضاً لا يَمُوتُ؟!".[١]

إذا قرَأنَا بإمْعَان مَا جَاء مُفصّلاً بإنجيل يُوحَنا الأصْحَاح الحَادِى عَشَرَ عَنْ مُعْجزَةِ إقامَةِ لعَازرَ مِن قبْرِهِ بَعْدَ أنْ صَارَ لهُ أرْبَعَة أيّام فيهِ.. نلمَسُ أمُوراً جَديرَة بالتأمُّل نوجزُهَا فى ثلاثة.

أوّلاً: تعَاطفُ الرب يَسُوعَ المَسيح لدَرَجَةِ أنّهُ بكى عليْهِ قبلَ أنْ يُقيمَهُ.. فبكلّ أحَاسيس حُبّهِ العَجيبِ ومَشَاعِرِهِ القويّةِ التى لا نَظيرَ لهَا فاضَتْ عَيْنَاهُ بالدّمُوع أمَامَ قبْر لعَازرَ. مُشَاركاً الأسْرَة الحَزينَة أحْزَانَهَا. فبكى مَعَ البَاكينَ!. إنّ البُكاءَ فى مَفهُومِنَا كبَشَر وخَاصّة عِنْدَ قبْر المَيّت دَليلُ ضَعْفٍ وَعَجْز وعَدَم إمكانيّةِ تغْيير الوَاقع. لأنّهُ ليْسَ مِنْ وَسيلةٍ لإحْيَاءِ شَخْص عَزيز لدَينَا بَعْدَ أنْ صَارَ جُثّة هَامِدَة فى مَثْواه الأخير بالقبْر.[٢]

ولكنْ ليْسَ الحَالُ كذلِكَ مَعَ الرّبّ يَسُوعَ الذِى ذرَفَ دُموعَ حُبّهِ أمَامَ قبْر حَبيبهِ لعَازرَ. فهُو يَستطيعُ كلّ شَىْءٍ ولا يَعْسُرُ عليْهِ أمْرٌ. أخَذَ صُورَة عَبْدٍ وصَارَ فى شبْهِ النّاس وهُو بَهَاءُ مَجْدِ اللهِ ورَسْمُ جَوْهَرِهِ وحَامِلُ كلّ الأشْيَاء بكلمَةِ قدْرَتِهِ بهِ كان كلّ شَىْءٍ وبغَيْرِهِ لمْ يكنْ شَىْءٌ ممّا كانَ. لهُ سُلطانٌ على المَوتِ عَدُوّ البَشَريّةِ. إنّهُ ابنُ اللهِ المُتجَسّدِ نراهُ يقفُ أمَامَ قبْر لعَازرَ يَبكيهِ ثمّ يناديهِ قائِلاً: "لعَازرُ هلمّ خَارجاً!". وقامَ لعَازرُ مِنَ الأمْوَاتِ. كتبَ بُولسُ الرّسُولُ فى رسَالتِهِ الأولى إلى مُؤمِنِى كورنثوس عَن المَوْتِ يقولُ: "آخِرُ عَدُوّ يُبْطلُ هُو المَوْتُ". إنّ يَسُوعَ المَسيحَ هُو ملكُ المُلوكِ ورَبّ الأرْبَابِ قاهِرُ المَوْتِ. لهُ القلبُ الرّقيقُ يَبكِى لبكانَا. ولهُ الكلِمَة العُليَا ليُحْيِى مَوتانَا.[٣]

كثيراً مَا يُوَاجهُوننَا بذلكَ السّؤال: كيْفَ أنّ ملِكَ المُلوكِ ورَبّ الأرْبَابِ يتنَازلُ ويأخُذ صُورَةَ عَبْدٍ؟!. كيْفَ يكونُ ذلِكَ؟!. الإجابة: ولمَاذا لا يكونُ؟. مَنْ ذا الذِى يَحدّ قدْرَةَ اللهِ عَنْ الظهُور فى الجَسَدِ ليَأخُذ صُورَةَ عَبْدٍ ويَصيرُ فى شبْهِ النّاس وفِى نفس الوقتِ يَبقى مُهيْمِناً على الوُجُودِ الذى هو مُبْدِعُهُ؟. مَنْ يقدِرُ أنْ يَمْنَعَ القادرَ على كلّ شَىْءٍ مِنْ إتمَام مَشيئَتِهِ وتدْبيرِهِ الذِى شَاءَهُ ودبّرَهُ مُنْذ الأزل؟. ثمّ نوَاجَهُ بسُؤالٍ آخَرَ: لمَاذا كانَ هذا التنَازُلُ؟. الإجَابَة: لقدْ أحَبّنَا ومِنْ أجلِ ذلكَ تنازلَ وجَاءَ إلينَا مُتجَسّداً لفِدَائِنَا مِنَ الهلاكِ وتبْريرنَا وليَهَبَنَا حَيَاة أبَديّة.. قالَ يُوحنّا البَشير فى انجيلِهِ: "لأنّهُ هكذا أحَبّ اللهُ العَالمَ حتى بَذلَ ابْنَهُ الوَحيدَ لكى لا يَهلِكَ كلّ مَنْ يؤمِنُ بهِ بلْ تكونُ لهُ الحَيَاة الأبَديّة".[٤]

كانَ الرّبُّ يَسُوعُ يَعلمُ مُسبَقاً أنّهُ سَيقيمُ لعَازرَ مِنْ قبرِهِ. ولكنّهُ يَعلمُ أيْضاً حَاجتنَا لمَنْ يوَاسينَا فى أحْزَاننَا لذلِكَ بكى يَسُوعُ عِنْدَ قبْر لعَازرَ وَشَارَكَ أحبّاءَ لعَازرَ أحْزَانَهُمْ. إنّهُ يتألمُ لآلامنَا وقدْ تحمّلَ عَنّا عِقابَ خَطايَانَا باذِلاً دَمَهُ على الصّليبِ. وهُو حَىّ الآنَ وعِنْدَهُ نَجدُ نِعْمَة وَعَوناً. يقولُ كاتِبُ العبْرَانيّين: "فإذ لنَا رَئيسُ كهنَةٍ عَظيمٌ قدْ اجتازَ السّمَواتِ يَسُوعُ ابنُ اللهِ فلنتمَسّكْ بالإقرَار. لأنّ ليْسَ لنَا رئيسُ كهنَةٍ غَيْرُ قادِرٍ أنْ يَرثِى لضَعْفَاتِنَا بلْ مُجَرّبٌ فى كلّ شَىْءٍ مثلَنَا بلا خَطيّةٍ. فلنتقدّمْ بثقةٍ إلى عَرْش النّعْمَةِ لكى نَنَالَ رَحْمَة ونَجِدُ نِعْمَة عَوْناً فى حِينِهِ".[٥]

---

[١] إنجيل يوحنا ١١: ٣٦ ، رسَالة بُولس الرّسُول إلى مُؤمِنِى رومية ١٢: ١٥ ، استمع إلى الإنجيل

[٢] الرسالة إلى العبرانيّين ٢: ١٨ ، إنجيل يوحنا ١: ٣

[٣] سفر أيوب٤٢: ٢، رسَالة بُولس الرّسُول الأولى إلى مُؤمِنِى كورنثوس١٥: ٢٦، وإلى مُؤمِنِى فيلبى ٦: ١١، الرسالة إلى العبرانيّين١:٣

[٤] سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى ١٧: ١٤

[٥] الرسالة إلى العبرانيّين ١٤: ١٦

ثانياً: سُمُوّ مَحَبّتِهِ القويّة.. لدَرَجَةِ أنّ اليَهُودَ تعَجّبُوا قائلينَ: "انظرُوا كيْفَ كانَ يُحبّهُ". ولعَدَم مَعْرفتهمْ بهِ المَعْرفة الكافية تعَجّبُوا أكثرَ ولامُوا بعِتابٍ كيفَ أنّهُ كانَ يُحبّهُ ولمْ يُقدّمْ لهُ شِفاءَ فى حينِهِ. لمَاذا سَمَحَ للمَوْتِ أنْ يُنْهِىَ على حيَاةِ لعَازرَ حَبيبهِ. لقدْ قالوا: "ألمْ يقدِرْ هذا الذِى فتَحَ عَيْنىّ الأعمَى أنْ يَجْعلَ هذا أيْضاً لا يَمُوتُ!". كثيراً مَا بجَهلٍ نَعتِبُ على الرّبّ. ورّبمَا يشكِكنَا العَدُوّ فى مَحَبّتِهِ لنَا. عِنْدَمَا لا يُحَقّقُ لنَا مَطالبنَا بالطريقةِ التِى نرَاهَا مُلائِمَة لنَا وفى الوَقتِ الذى يناسبنا. والأجْدَرُ بنَا أنْ نَخْضَعَ لهُ ونَضَعَ أمُورنَا طوْعَ إرَادَتِهِ وتدْبيرهِ وتوقيتِهِ.[1]

ثالثاً: سُمُوّ قدْرته المُعجزيّة.. إنّ يَسُوعَ أقامَ لعَازرَ مِنْ قبْرهِ بَعْدَ أنْ أنتنَ بدَاخِلِهِ.. فقدْ صَارَ لهُ أربَعَة أيّام فى القبْر.. لقدْ أرْسلتْ الأختان مَرْثا ومَرْيَمُ إلى الرّبِّ يَسُوعَ وكانتا فى بَيْتِ عَنيَا وكانَ يَسُوعُ وقتذاكَ فى أورُشليم. تقولان لهُ: "يَا سَيّدُ هُوَذا الذِى تحبّهُ مَريضٌ". ولكنّ الرّبّ لمْ يَذهَبْ على التوّ.. ولمّا جَاءَ يَسُوعُ وتلاميذهُ إلى بَيْتِ عَنيَا وَسَمِعَتْ مَرْثا أنّ يَسُوعَ آتٍ ذهبَتْ للقائِهِ تاركة مَرْيَمَ أختهَا جَالِسَة فى البَيْتِ مَعَ المُعَزّينَ. قالتْ مَرْثا ليَسُوعَ: "يَا سَيّدُ لوْ كنتَ ههنَا لمْ يَمُتْ أخِى!". يَتفاوتُ المُؤمنونَ فى إيمَانِهِمْ المَعْرُوف بإيمَان الثِقة.. لأننَا كمَا نعلمُ أنّ إيمَانَ الخَلاص نتسَاوَى فيهِ جَميعاً. أمّا إيمَانَ الثقةِ فنَحْنُ فيهِ نتفاوتُ. فينَا مَنْ يَعظمُ إيمَانهُ بدَرَجَةٍ أكبرَ مِنْ غَيْرِهِ. أمّا ضَعيفُ الإيمَان فهُو يُحِدّ مَدَى قدْرَةِ اللهِ بمَدَى مَا يُبْصِرُهُ بعَينيْهِ مِنْ آيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ فى حَيَاتِهِ وفى حَيَاةِ الآخرينَ.[2]

لقد اعتبَرَ اليَهُودُ مُعْجزَةَ شِفاء الأعْمَى الذِى فتحَ الرّبّ عَيْنَيْهِ مِقيَاساً لقدْرَةِ اللهِ. وكان إيمَانهُمْ لا يتعَدّى مَا رأوْهُ بأعيُنهمْ. أمّا قائدُ المِائة الذِى كانَ عَبْدُهُ مَريضاً مَشْرفاً على المَوتِ وجَاءَ شُيُوخُ اليَهُودُ يَطلبُونَ مِنَ الرّبّ يَسُوعَ أنْ يَذهَبَ اليْهِ. بحجة أنّهُ مُستحِقٌ لأنّه بنَى لهُمْ المَجْمَعَ. لقد أرْسلَ قائدُ المِائة إلى الرّبّ يَسُوع قائِلاً: "يَا سَيّدُ لا تتعَبْ لأنّى لسْتُ مُستحِقاً أنْ تدْخلَ تحْتَ سقفِى. لذلِكَ لمْ أحْسِبْ نفسِى أهلاً أنْ آتِى إليكَ. لكنْ قلْ كلمَة فيبْرَأ غُلامِى". لقدْ أثنَى الرّبّ على إيمَانهِ واستجَابَ لطلبتِهِ. أمّا مَرثا ومَرْيَمُ فكانَ إيمَانهُمَا مَحْدُوداً بإتيَان الرّبّ إلى بَيْتِ عَنيَا حينَ أرْسَلتا إلى الرّبّ كى يَأتِى من أورُشليم لِيَشفِىَ أخَاهُمَا. وعِندَمَا مَاتَ أخُوهُمَا اعتقدَا أنْ هذا يَرْجعُ إلى أنّ الرّبّ لمْ يَأتِ فى الوَقتِ المُناسِبِ. قالتْ مَرثا: "يَا سَيّدُ لوْ كنْتَ هَهنَا لمْ يَمُتْ أخِى". وكرّرَتْ مَرْيَمُ قولَ أختهَا.[3]

اتفقتْ الأختان فى الطلبَةِ ولكنْ قصُرَتْ يَدُ إيمَانِهِمَا. لقدْ قادَهُمَا الرّبُّ يَسُوعُ إلى إيمَان أقوَى وأجْرَى مُعْجزَة هِىَ الأعْظمُ. قدْ نتسَاءلُ كيفَ نَحْصلُ على الإيمَان الأقوَى؟. الإجابة: حينَ نَأتِى إلى الرّبّ بانكسار مُعترفينَ بضَعْفِ إيمَانِنَا وبحَاجتنا إلى إيمَان أقوَى سَيقودُنَا كمَا قادَ مَرثا. وسَيفتحُ عُيونَنَا وسَنصِلُ إلى مَا وَصلتْ إليْهِ مَرثا فى نِهايَةِ حَديثهَا مَعَهُ إذ قالَ لهَا: "أتؤمِنينَ بهذا؟. قالتْ لهُ نَعَمْ يَا سَيّدُ أنَا قدْ آمَنْتُ أنّكَ أنتَ المَسيحُ ابنُ اللهِ الحَىّ".[4]

ولكنْ لمَاذا لمْ يَأتِ الرّبّ إلى بَيْتِ عَنيَا؟. لمَاذا لمْ يُلبِّ طِلبَة مَرثا وَمَرْيَمُ ويأتِى ليشفِىَ لعَازرَ المَريضَ؟. لمَاذا سَمَحَ بمَوتِهِ؟. الإجَابَة: لأنّهُ أعَدّ مَا هُو أفضلُ. ومَا هُو الأفضلُ؟. نعْرفهُ مِمّا قالهُ لتلاميذِهِ: "هذا المَرَضُ ليْسَ للمَوتِ. بلْ لأجل مَجْدِ اللهِ ليتمَجّدَ ابنُ اللهِ بهِ". ولمّا قالتْ مَرثا ليَسُوعَ عَنْ لعَازرَ أخيهَا: يَا سَيّدُ قدْ أنتنَ لأنّ لهُ أربَعَة أيّام.. أجَابهَا يَسُوعُ: ألمْ أقلْ لكِ إنْ آمَنتِ ترينَ مَجْدِ اللهِ؟. آمَنتْ مَرثا ورَأتْ مَجْدَ اللهِ. تمَجّدَ ابنُ اللهِ إذ أقامَ أخَاهَا الذِى أنتنَ فِى قبْرهِ. إذا تأخّرَتْ الاستجَابَة لطلبَاتِنَا فذلِكَ لأنّ الرّبّ أعَدّ لنَا الأفضلَ. لأنّهُ فى وَقتِهِ يُسْرعُ بهِ.[5]

عزيزى القارئ.. إنّ الرّبّ يَسُوعَ لهُ القلبُ الرّقيقُ يُشَاركنَا أحْزَانَنَا بتعْزيَاتِهِ الرّوحيّةِ. ويُشَاركنَا أفرَاحَنَا بوَلائِمَ سَمَاويّةٍ. ويُحَقّقُ مَا نرْجُوهُ بأكثرَ مِمّا نَطلبُ أوْ نفتكِرُ لعِظم مَحَبّتِهِ لنَا. فقدْ اشترَانَا لا بفِضّةٍ أوْ ذهَبٍ بلْ بدَم كريم ومَا أغْلاهُ مِنْ ثمَن. ليتكَ أخِى تشتركُ مَعِى فى تلكَ الصّلاةِ: أبَانَا السّمَاوىّ.. أشكرُكَ مِنْ أجل عَظمَةِ حُبّكَ لِى ورَقةِ قلبكَ نَحْوَ خَاطِئ أثيم نظيرى. أقمتنِى مِنْ قبْر خَطايَاى ووَهبتنِى حيَاة أبَديّةٍ. أعْنِى كىْ أشْهَدَ لحُبكَ مَا حَييتُ.. أرفعُ صَلاتِى فى اسْم يَسُوعَ الذى أحبّنِى إلى المُنتهى.. مُستنِداً على وَعْدِكَ القائل: مَنْ يُقبلْ إلىّ لا أخْرجْهُ خَارجاً.

أخى القارئ العزيز.. إنْ أرَدْتَ سَمَاعَ تلكَ الرّسَالةِ أو غيْرهَا ستَجدُ ذلكَ فِى:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm

---

[1] سفر إشعياء ٦٠: ٢٢ ، إنجيل يوحنا ١١: ٣٧

[2] إنجيل يوحنا ١١: ١ – ٣ & ١– ٢٧ ، رسَالة بُطرس الرّسُول الثانية ١: ١ ، إنجيل متى ٨: ١٠& ١٥: ٢٨ ، إنجيل مرقس ٩: ٢٤

[3] إنجيل لوقا ٧: ٦ ، إنجيل يوحنا ٩: ١ – ٣٨

[4] إنجيل يوحنا ١١: ٢٧

[5] إنجيل يوحنا ٢١: ١٩ ، سفر حبقوق ٢: ٣